

وتأخرت الى الضحوة الكبرى فألفت سرادق الامارة غاصا بالناس وكذا الفجوة التي أمامه ولولم يرني بعض من يعرفني هنالك لما تيسر لي اختراق ذلك الجمع الكثيف ، والنفوذ الى المجلس الهاشمي الشريف ، ولكن رأيت من فرج لي فرجة بين الناس دخلت منها الى أن بلغت الحلقة الكبيرة وجلست على كرسي أخلي لي فيها وكان الناس من مصريين ومكيين قد شرعوا في إلقاء الخطب والقصاص في التهاني والادعية ، فرأيت أن أتهي خطبة في بيان الحقيقة التي عرفتها بالبحث والاختبار ، والآراء التي أنتجتها تلك الأفكار ، أشير فيها الى آراء الناس من الحجازيين والآفقيين وكنت قد بلوت أخبارهم ، واكتنفت معرفتهم وانكارهم ، وأذكر ما لدي من الرأي في المسألة الحجازية وما يشترط في ذلك بقدر ما يسهل المقام ، فلما فرغ من كان يتكلم قبل مجيئي استأذنت فأذن لي فقلت ما ملخصه كما نشر في جريدة القبلة

وكل ما يوضع فيها بين الالهة هكذا ( ) فهو من قبل جريدة القبلة كما هو ظاهر الا الآيتين الكرمتين : في أولها فهما من أصل الخطبة

## خطبتنا السياسية في مضي

أيها المسلمون الكرام ، من سكان حرم الله وحجاج بيته الحرام ، انكم تعلمون أن الاسلام دين سيادة وسلطة ، وأن شريعته أنزلت ليقم أحكامها أهله ، لقوله تعالى ( أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ) على التأويل المشهور للآية وتعلمون أن الله تعالى قد جعل هذا الدين عربيا اذ أنزل القرآن الذي هو أصله وأساسه باللغة العربية على لسان النبي الامي العربي محمد صلى الله عليه وآله وسلم . وقد بين الله تعالى ذلك بقوله ( وكذلك أنزلناه حكما عربيا ) فهذه الآية أخص من الآيات الناطقة بانزال القرآن عربيا ، لانها مصرحة بأن حكم هذا الدين عربي ، مع العلم بأن كتابه المتمدد به عربي . وهذه البلاد العربية هي مهد هذا الدين ومبسط وحيه ومشرق نوره ، وكان أهلها هم السابقين الى تلقيه والاهتداء به ، ثم تبعهم فيه غيرهم من عرب الحجاز فآثر هذه الجزيرة العربية . ثم حمله العرب الى سائر الاقطار ونشروه فيها ، فامتد في الجيل الاول منهم حتى عم نوره الشرق والغرب ، وأروا

الأم بإقامة أحكامه من العدل والرحمة ما لم يعرفوا ولم يسمعوا له نظيراً كما اعترف بذلك المنصفون من الأفرنج وغيرهم

ثم طرأ الضعف على السلطة الإسلامية بتفرق الوحدة العربية الكافية لها، وتنازل الأعاجم في الدول الإسلامية التي تعددت بسبب ضعف سلطة الخلافة. فبعد أن كانت الفتوحات الإسلامية في مد لجزر مصر، صارت دول الطوائف الإسلامية بين مد وجزر، وقوة وضعف، حتى وصلت الدولة العثمانية منها إلى درجة عالية، ومكانة سامية، من القوة الحربية وسمة الفتح والتغلب، فسر بها المسلمون ورضي بعض حكامهم المستقلين بسيادتها طوعاً واختياراً، كما دخل بعضهم تحتها اضطراراً وقد كان أمراء مكة العظام أهل بيت سيدنا هذا (وأشار الخطاب إلى جلالة ولانا الامير) في مقدمة من أيده هذه الدولة واعترفوا بسلطانها وسيادتها، لاجل جمع كلمة المسلمين بها وإعلاء شأن الشريعة الإسلامية بنفوذها (هنا قال جلالة سيدنا للخطيب صدقت) ثم إن هذه الدولة قد سرى إليها الضعف ودب إليها الوهن من زهاء ثلاثة قرون.

وانتي أذكر لكم بعض الشواهد على ذلك من تاريخها الرسمي منذ مئة سنة ونيف إن محمد علي باشا الذي كان والياً للدولة على مصر قد زحف على سورية ففتحها، ثم على الأناضول فتوغل فيها، ولولا أن الدولة الانكليزية أكرهته على الرجوع إلى مصر لاستولى على بلاد الدولة كلها. وكان ذلك على عهد السلطان محمود الذي كان يمد مصاحف في الدولة ومجدداً لها بقضائه على عسكر الانكليزية المحتل وادخاله نظام الجندية الاوربي في الدولة

تولى السلطان محمود السلطنة في سنة ١٢٢٣ و توفي سنة ١٢٥٥ خلفه السلطان عبد المجيد الذي صرح في خطابه عند اعلان «التنظيمات الخيرية» في كلخانة بأن الضعف والحلل قد طرأ على الدولة منذ ١٥٠ سنة وأنه لا بد من تلافي خطر ذلك بالنظام الذي أعلنه بتدبير أساطين الدولة في عهده. ولكن ذلك النظام لم يسد لى الدولة قوتها، ولا أبقدها من الخطر الذي كان يخشى عليها. ودليل ذلك أن أركان الدولة قد خلموا أخاه السلطان عبد العزيز الذي خلفه سنة ١٢٧٧ وقتلوه أو ألجأوه إلى مجر نفسه بيده سنة ١٢٩٣ بحجة أن استبداده كان حائلاً دون اصلاح الدولة وتجديد شبابها. وولوا بعده السلطان مراداً ولم يلبثوا أن خلموه في تلك السنة وولوا

بعده السلطان عبد الحميد الذي كان عاهدكم على العمل بالقانون الاساسي الذي  
 قدوا فيه الدول الاوروبية فلما منهم بأنهم لا يعترفون الا بما اعترفت به من الحكم النيابي  
 وأما سيرة السلطان عبد الحميد فهي معروفة عنكم لان العهد بها قريب ، وقد  
 خلعت جمعية الاتحاد والترقي بقوة جند الدولة واعتقلته، وتولت الجمعية السيطرة على  
 الدولة بعده ، فإذا كان من أمرها ؟ هل كانت خيرا من أولئك السلاطين المظالم  
 الذين لم يقدروا أن يصلحوا ملكهم الذي ورثوه عن آباؤهم وأجدادهم ؟ كلا ان  
 زعماء هذه الجمعية الذين غلبوا الدولة على أمرها هم أو شاب من الملاحدة المارقين  
 قد وصلوا الى ما وصلوا اليه بكيد يهود سلانك وشر كاؤم في النمسة والمانية أقوى  
 أنصارهم ولذلك نرى أكبرهم جمع المال . فلام على دين هذه الدولة فيقاروا  
 عليه . بل هم يقاومونه ويهدمونه ، ولا هم من أصل راسخ فيها فيكونوا أحرص  
 على حياتها من أبناء سلاطينها وأساطينها

وإذا نظرنا الى أعمالهم دون عقيدتهم وآرائهم نرى أنهم قد فعلوا في الدولة من  
 الفساد والتخريب ما لم يفعله غيرهم فيها منذ أصيبت بالضعف الى أن أصيبت بهم  
 ثبت أنهم أخذوا من مال الدولة لنظارة الحرية خمسين مليون جنيه ليجددوا  
 قوتها العسكرية ، ثم رأينا دولة البلقار — التي كانت ولاية من ولايات الدولة ولم  
 يتم لها الاستقلال الا في عهدهم — قد كسرت جيوش الدولة وكادت مدافعها في  
 شطلجها تمزق مسمع أهل الآستانة . وكان السبب الحسي لذلك قلة ما عند الجيش  
 العثماني من المؤنة والذخيرة والدواب وسائر أسباب الحرب

وقد خسرت الدولة في عهد المشوم من المالك ما لم تخسر مثله في عدة أجيال :  
 خسرت البوسنة والهرسك يبيع الجمعية اياها للنمسة ، وطرابلس الغرب وبرقة بيها  
 اياها لاطالبية ، ومكدونية وألبانية وكريت وجزائر الارخبيل ، ونسكت عما خسره  
 في هذه الحرب من الولايات — فقد أضاعوا نصف الدولة في بضع سنين ، وحملوها  
 فيها من أثقال الديون ما لم تحمل مثله قبلهم في بضعه قرون . ثم عمدوا الى الامة ،  
 فأفقروها كما أفقروا الدولة . فهذا هو الاصلاح الذي خلعوا لاجل القيام به سلطان الدولة  
 وخليفتها عبد الحميد وحجروا على خلفه من بعده

فيا أيها المسلمون الغيورون المبهرون ، اذا كان قد ثبت من تاريخ الدولة الرسمي بما ذكرته لكم من شواهد أنها كانت ضعيفة يخشى عليها الزوال قبل هذه الارزاء والمصائب التي منيت بها شووم هذه الجمعية ، فكيف يكون حالها الآن وقد اصطلت بنا هذه الحرب ، وتعرضت لعداوة أكبر دول الارض ؟

ان سواد المسلمين الاعظم يفارون على هذه الدولة ويتمنون لها دوام الاستقلال وكال القوة للسبب الذي يبناه في فاتحة الكلام ، ولكن يقل في المسلمين من يعرف حقيقة حالها وكنه الخطر الحائق بها . ويقل فيمن يعرف ذلك من بسى لتدارك ما يترتب على هذا الخطر اذا وقع من فقد الاسلام لما بقي من أحكام شريعته ، وحرمان المسلمين من آخر ما كان لهم من الاستقلال السياسي على علاته

لم تر أحدا من زعماء المسلمين وكبرائهم قدر الحال الخطرة التي وصل اليها الاسلام قدرها وازبرى لتداركها الا هذا الرجل العظيم — أمير مكة وشريفها — فانه . أى أن الدولة — وهو من أعلم أهلها بحالها — قد أمست على شفا جرف ، وأن ملاحدة الانحاديين قد اتخذوا الاحكام العرفية والقوة العسكرية ذريعة لتتكيل بالامة العربية بتقتيل رجال الفكر والعمل ومصادرة أموال أهل الثروة منها حتى لا يبقى فيها رجاء في عامل ولا في عمل ، فاتتدب لتدارك الخطب ومصارعة الخطر بنفسه الكريمة وأنفس أنجاله النجباء . ولو استطاع أن ينقذ الدولة نفسها من الخطر افضل ، ولو بذل في ذلك دمه ودم هؤلاء الأنجال الكرام (هنا قال الأمير حفظه الله تعالى للخطيب صدقت) لكن العمل لا تقاذ الدولة نفسها من الخطر قد أصبح فوق طاقتة وطاقة غيره ( ... صدقت ) فرأى أن يبدأ بالمستطاع وهو انقاذ الحجاز مهد الاسلام ومشرق نوره مما نزل به من البلاء والشقاء ، ثم انقاذ غيره مما يمكن انقاذه من البلاد العربية ؛ ليكون ذلك بيئة حفظ الاستقلال الاسلامي وعدم زواله بما يخشى ويتوقع أن يجل بالذولة العمانية والماذ بالله تعالى ( ... صدقت )

لا يخفى على ذي بصيرة ان الانحاديين ما حشروا الالوف من جيوشهم في الحجاز الا بنية سيئة لانهم يعلمون كما نعلم أن أعداءهم الحلقاء لا يحاولون الاستيلاء على الحجاز ولا يحاربون أهله ، فكان من المعقول ان يرسلوا تلك الجيوش الى قتال

أعدائهم الروس واتخاذ ما فتحوه من الولايات التركية ، ولكن التشكيل بالعرب أم  
عندهم من دفع الروس عن عقر دراهم . ولو تم لهم ما أرادوا لرأينا من فظائهم في  
الحجاز ما هو أشد من فظائهم في الشام ( ... صدقت )

نعم ان الحلفاء لا يحاربون الحجاز ولكن وجود الجيوش الاتحادية فيه ألجأهم  
الى ضرب المحصر البحري على ثغوره فضاقت المعيشة على أهله حتى باعوا حلبيهم  
وأثاثهم وأبواب بيوتهم وخشب سفنها ولو طال عليهم أمد ذلك سنة أخرى لا كانوا  
المجاعة وما يتبعها عادة من الاوبئة ( ... صدقت )

أعلن سيدنا هذا استقلال العرب في الحجاز - والحاجة قد اشتدت اليه حتى  
وصلت الى حد الضرورة - وما كان ليوجد في الامة العربية ولا الامة الاسلامية كلها  
من آتاه الله من البصيرة والشجاعة والثقة بالله والتوكل عليه ما ينهض به للقيام بهذا  
المب العظيم ، ولولا ثقته بالله وتوكله عليه لما نجحنا على ذلك لاننا كنا نعلم أنه لا يوجد  
في الحجاز قوة عسكرية ولا ثروة مالية يعتمد عليها في مثل هذا العمل ( تصديق .. )  
كنا نعلم انه لا يوجد في الدنيا كلها مكان يصلح لتأسيس دولة اسلامية تخلف  
الدولة العثمانية اذا وقع بها ما نخشاه عليها الا جزيرة العرب وما يتصل بها من البلاد  
العربية لما خص الله تعالى به هذه البقعة وأهلها من الخصائص ، ولا يعقل ان يحفظ  
استقلال الاسلام في مثل بلاد الافغان إن هو زال من مهده وموطن نشأتهم ومحل  
اقامة شعائره . انفردت هذه البقاع الطاهرة المقدسة بأنها أجدر بقاع العالم الاسلامي  
لاقامة استقلاله . وكذلك انفرد سيدها وأميرها في هذا العصر بالنهوض بما يجب من  
العمل والاستعداد لتجديد هذا الاستقلال . فكان له بمسئله أكبر منة في اعناق  
أهل هذه البلاد وفي اعناق جهيم المسلمين الذين يشعرون بأن أمر هذا الاستقلال  
هو أهم المصالح العامة الدينية والاجتماعية . ولكن منهم من فقد هذا الشعور  
أيها الحجازيون ان من يكفر مشكم لهذا الرجل المصلح المنقذ هذه النعمة فهو أكفر  
الناس للنعم . أيها المسلمون يجب ان تعلموا ان هذا العمل أعظم خدمة للاسلام في  
هذا الزمن . فان الدولة العثمانية ان سلمت من السقوط وحفظت استقلالها لم يكن  
استقلال العرب في الحجاز وغيره ما نعا من ذلك ولا من تعاضد العرب والتوكلهم

حفظ حقوق كل منهم . وان سقطت ووقدت استقلالها لم يكن هذا الاستقلال هو  
السبب فيه ولكنه يكون سببا لحفظ استقلال الحكم الاسلامي في اشرف بقاع  
الاسلام، بل لا ينبغي عن اذهانكم اهلولا اعلان هذا الاستقلال لترتب على سقوط  
الدولة العثمانية وقوع حرم الله تعالى وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم غيبة في أيدي  
الدول الفاتحة . فان تركوها بعد ذلك لانا كان لهم مئة التصديق بهما علينا . والا كنا  
نحت سيادتهم والقيام بالله تعالى . وبهذا يتبين لكم ان هذا العمل العظيم ، الذي  
قام به هذا الزعيم العظيم ، قد أخذ الحرمين الشريفين وما حولهما من هذا الخطر  
الجسيم . ووضع أقوى أساس لحفظ الاستقلال الاسلامي بانشاء دولة جديدة له .  
فله بهذا أكبر منة على جميع المسلمين . وما أقول هذا تعلقا له ولا مدحا شمريا ، وإنما  
هو الحقيقة البيضاء الناصعة يتبها لكم بالايجاز الذي يحتمله المقام والسلام اه الخطبة  
قالت جريدة القبلة متفنية على هذه الخطبة ، : « وبعد أن جلس (أي الخطيب)  
أثنى عليه جلالة سيدنا أيده الله بروح من عنده وقال للناس انه لم يره الا منذ أيام  
قليلة ، وتزيد عليها أنه قد صرح بأني عبرت في المسألة عن فكره ورأيه ولم يسبق  
له مكاشفتي به وانه لم يرني الا منذ أيام قليلة، وهو صادق فيما قال ، وانني ما كنت  
أرجو أن يرضيه خطابي إلا من باب حسن الظن فيه الذي استنبطته مما كنت أعلم  
من سوء نية جمال باشا وأعوانه، ومن منشور به الدالين على قيامه بما قام به في الحجاز  
لاجل الداعية التي وصلت الى حد الاضطرار ، وانها ضرورة تقدر بقدرها ، وهذا هو  
الحكم الشرعي في مثلها ، وقد جعلتها مقدمة للسمي الى ذلك .  
وأقول ان وقع الخطبة قد كان حنا في سمع الجمهور ، وكانت موضع حديث  
الناس وثنائهم ، حدثني بذلك الكثيرون في منى ثم في مكة ، وقد علمت أنها جمعت  
بين ارضاء الفريقين المتعارضين في الرأي — فريق اللشاعين من ثورة الحجاز  
الخانقين ان تكون سببا لضعف للدولة العثمانية وزوالها ، على حين لا استعداد لانشاء  
دولة اسلامية محل محلها ، وفريق المتناهلين الذين يرجون ان تكون مبدأ دولة عربية  
مستقلة تحيا بها حضارة العرب الزاهرة ، حتى ان أصحاب فكرة المبايعة كانوا  
يرجون عند سماع الخطبة ان تكون مقدمة للمبايعة .

زارني بعد نزولنا من منى الى مكة الشيخ عبد الملك الخطيب أحد أدباء مكة المقربين من الحضرة الهاشمية - وقد تقدم ذكره في هذا الرحلة - فكان جل حديثه الثناء على الخطبة، وقال اني كنت في الحضرة الهاشمية أذكر محاسنها وأنوه بها وان سيدنا واقفي على ذلك وساهمني فيه، ثم ذكر انه كان ينقصها شيء واحد، قلت بل ينقصها هندي أشياء ولكن الوقت لم يكن يتسع لا أكثر مما قيل، قال: لم أهن ان في الخطبة نفسها قصصا بل هي كاملة، وانما كان ينقصها ان تكون مقدمة للمبابعة، فلو انك بعد إتمامها مددت يدك وبايست سيدنا لاتبعتك الناس وكان أمراءهم قولا، قلت ان هذا ليس من رأيي ولا من حقي، وما يؤمنني ان يقال لي ما قيل لذلك الشاهر الذي قال وخذا النوم من عبوي قاني قد خلعت الكرى على المشاق فقيل له خلعت ما لا تملك على من لا يقبل؟ وبهذا حولت المباحثة السياسية الى مفاخرة أدبية هذا - وانني قد نشرفت بعد ذلك بمحدث مع الحضرة الهاشمية في موضوع الخطبة، فكان مما قال الامير ان المسألة الجوهرية في الخطبة هي ان الدولة العثمانية على خطر وأنا موافق لك على هذا الرأي من قبل الحركة ولكن أثير الناس أو المسلمين لا يعقلون ذلك. وقد عرضت عليه في هذه الجلسة شيئا من خلاصة رأيي في المسألة العربية وما يجب إتخاذه من الاحتياط في مسألة الدولة، على لوجه الذي أشرت اليه في خاتمة الخطبة، فأظهر لي الاستحسان، وأحال على الزمان، وقراء المنار يرفون رأيي مما بسطته في المقالة التاريخية (المسألة العربية) التي نشرتها في الجزء الأول من المجلد العشرين، ومنه ان الثورة الحجازية قد أدت وظلقتها، وأفادت مارجونا منها. فأخذ الحجاز، وأوقفت بنفي البغاة، وأحمد الله اني كنت أسعى الى تنفيذ هذه المقاصد، على تلك القواعد، وانني الآن معنزل لأعمال السياسة وأهلها، منتظر حكم المرير الحكيم في أمر أممي والشعوب كلها.

### ﴿ ترجمة الشيخ سليم البشري ﴾

بقي مما ينبغي أن يذكر في ترجمته ما انفرد به دون أمثاله من نبوغ الازهر كانكاره. كتابة على الدولة العثمانية افتك بالارمن في أمانة - وكرامته لاحتفال اللجنة السورية التي عقدت في دار التمثيل الاميرية لاعانة طلبة العلم السوريين في الازهر - تلك اللجنة التي قال في هذا بحق انها مسيحية ليس فيها الامام واحد تسمى لاعانة مسلمين ليس فيهم غيري واحد - وغير ذلك من الامور المدنية المصرية، ولم يتيسر لنا جمع ما كتب في ذلك بوثته من الجرائد، ولم يذكر احد في ترجمته